4me Année, No. 145.

Lundi-13-4-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢ عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٥٥ — ١٣ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
٥٦١	اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٥٦٤	النهضات القومية العامة	الدكتور عبد الرزاق السنهورى
٥٦٨	جاكومو كازانوفا	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٥٧١	الخصيات	الدكتور مأمون عبد السلام ...
٥٧٣	قصة المكروب	الدكتور أحمد زكى ... ...
٥٧٧	نشأة مقاييس الذكاء ...	الأستاذ على محمد فهمى ... ...
٥٨١	استثمار نهضة المرأة ...	الآنسة فتحية عزمى ... ...
٥٨٣	إنى أرى فى المنام	الأستاذ محمد سعيد الزاهرى
٥٨٦	الحياة الأدبية فى الحجاز	عبد المجيد شيكلى ... ...
٥٨٧	تقى الدين السبكى	محمد طه الحاجرى ... ...
٥٩٠	قرب للموتى (قصيدة)	الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٥٩٠	زهرتى المختارة «	الياس فنصل ... ...
٥٩١	الليلة الثانية عشرة «	الأستاذ على أحمد باكثير ...
٥٩٢	فى الأدب الايطالى الحديث	محمد أمين حسونه ... ...
٥٩٤	المتضرعات (قصة)	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٩٧	تاريخ جديد لليهود	
٥٩٨	كتاب عن بونابرت فى مصر	
٥٩٨	رسائل الشاعر الروسى بوشكين	
٥٩٩	وفاة كاتب ألمانى كبير	
٥٩٩	كتاب جديد لميترلنك	
٥٩٩	حول ترجمة السخاوى أيضاً	قارئ ... ...
٦٠٠	« « « «	الآنسة فردوس عبد العزيز
٦٠٠	بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن	

اللغة والدين والعادات

باعتبارها من مقومات الاستقلال

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ليست حقيقةُ الأمة فى هذا الظاهرِ الذى يبدو من شعبٍ مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه ؛ ولكن تلك الحقيقة هى الكائنُ الروحىُّ المكتنُّ فى الشعب ، الخالصُ له من طبيعته ، المقصورُ عليه فى تركيبه ؛ كعصير الشجرة لا يُرى عملُه والشجرةُ كلُّها هى عملُه

وهذا الكائن الروحى هو الصورةُ الكبرى للنسب فى ذوى الوشيجة من الأفراد ، بيد أنه يحقق فى الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض ؛ فيجعل للأمة شأن الأسرة ، ويخلق فى الوطن معنى الدار ، ويوجد فى الاختلاف نزعة التشابه ، ويردُّ المتعددَ إلى طبيعة الوحدة ، ويبدع للأمة شخصيتها المتميزة ، ويوجب لهذه الشخصية بازاء غيرها قانونَ التناصر والحميَّة ؛ إذ يجعل الخواطر مشتركة ، والدواعى مستوية ، والنوازع متآزرة ، فتجتمع الأمة كلها على الرأى : تتساند له بقواها ، ويشد بعضها بعضاً فيه . وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع فى كلمة الأمة معناها

القومي الذي ينشئه الأمة كائنها الروحي ، هو المبادئ من أثر الدين واللغة والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد قوته من نفسه ، إذ يعمل في الحيز الباطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرفاً لبواعث النفس ؛ فهو وحده الذي يملأ الحي بنوع حياته ، وهو طابع الزمن على الأمم ، وكأنه على التحقيق وضع الأجداد علامتهم الخاصة على ذريتهم

* * *

أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائماً بخصائصه ؛ فهي قومية الفكر ، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة . والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها ؛ وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل ؛ وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودأبه في المستعبَدين لزوم الكلمة والكلمات القليلة

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتي ذلك إلا من روح التسلط في شعبها ، والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته ، وكونه سيد أمره ، ومحقق بوجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه . فأما إذا كان منه التراخي والاهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، وإصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والاكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابعٌ لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزىء ببعض حقه ، مكتفٍ بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان وأقله للفائدة التي هي كالحرمان

لا جرم كانت لغةُ الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين ؛ فان يتحول الشعب أوّلَ ما يتحوّلُ إلا من لغته ؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ، ورجعت قوميتُه صورة محفوظة في التاريخ ، لا صورة محققة في وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشىء على لغة ، ونشأ الثاني على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء

وما ذلّت لغةُ شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار . ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغتَه فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ، ويُشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد : أما الأول فحبسُ لغتهم في لغته سجناً مؤبداً ؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ؛ وأما الثالث فتقييدُ مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبَع

والذين يتعلّقون اللغاتِ الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للفتهم قوية مستحكمة من قِبَل الدين أو القومية . فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهةُ للفتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم ؛ فلا يستطيع وطنهم أن يوحي اليهم أسرار روحه ؛ إذ لا يوافق منهم استجابةً في الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءهم من أهلهم ثم تكون العواطف في هذه الدماء للأجنبي ؛ ومن ثمّ تصبح عندهم قيمةُ الأشياء بمصدرها لا بنفسها ، وبالخيال المتوهَّم فيها لا بالحقيقة التي تحملها ، فيكون شيء الأجنبي في مذهبهم أجلَّ وأثمن لأن اليه الميلَ وفيه الاكبارُ والاعظام ، وقد يكون الوطني مثلَه أو أجل منه بيد أنه فقد الميلَ ، فضعفت صلتُه بالنفس ، فعادت كل مميّزاته لا تميّزه

وأعجبُ من هذا في أمرهم ، أن أشياء الأجنبي لا تحمل معانيها الساحرةَ في نفوسهم إلا إذا بقيت حاملةً أسماءها الأجنبية ، فان سمّي الأجنبيُّ بلغتهم القوميّة نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة . . . وما ذاك إلا صِغَر نفوسهم وذلّها ، إذ لا ينتخون لقوميتهم فلا يلهمهم الحرفُ من لغتهم ما يُلهمهم الحرف الأجنبي

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها ؛ وليس في العالم أمةٌ عزيزةُ الجانب تقدم لغة غيرها على لغة

بها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعاً إلا من وراء ود الأشياء الوطنية ؛ ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا ، لكان وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا

فاللغات تتنازع القوميةَ ، ولَهِيَ والله احتلالٌ عقلي في ثوب التي ضعفت عصبيتها ؛ وإذا هانت اللغة القومية على بها ، أثّرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثّر الجوُّ الأجنبي الجسم الذي انتقل اليه وأقام فيه

أما إذا قويت العصبية ، وعزّت اللغة ، وثارت لها الحميّة ؛ ن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمةً يُرتَفَق بها ، ويرجع شبر أجنبي شبرا لا متراً . . . . وتكون تلك العصبيةُ للغة القومية دةً وعوناً لكل ماهو قوي ؛ فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع وة قاهرة غالبة ، هي قوة الايمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن ؛ متى تعيّن الأولُ أنه الأولُ ، فكلُ قوى الوجود لا تجعل الذي مده شيئاً إلا أنه الثاني

* * *

والدينُ هو حقيقةُ الخُلُق الاجتماعي في الأمة ، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقةً واحدةً على اختلاف المظاهر الاجتماعية عاليةً ونازلة وما بينهما ، فهو بذلك الضمير القانوني للشعب ، وبه لا بغيره ثباتُ الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب

ولهذا كان الدينُ من أقوى الوسائل التي يُعوّل عليها في إيقاظ ضمير الأمة ، وتنبيه روحها ، واهتياج خيالها ؛ إذ فيه أعظمُ السُّلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات . فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ؛ ومتى قوي هذا السلطان في شعب ، كان حَمِيّاً أبيّاً ، لا يُرغمه قوة ، ولا يعنو للقهر

ولولا التديّن بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس ؛ ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحي في فضائل الحياة ، وتعيينَ تبعته في حقوقها وواجباتها ، وجعلَ ذلك كلّه نظاماً مستقراً فيه لا يتغير ، ودفعَ الانسان بهذا النظام نحو الأكمل ، وداعياً نحو الأكمل

وكل أمة ضعف الدينُ فيها ، اختلّت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها في بعض ؛ فان من دقيق الحكمة في هذا الدين أنه لم يجعل الغاية الأخيرةَ من الحياة في هذه الأرض ؛ وذلك لتنتظم الغايات الأرضية في الناس ؛ فلا يأكل بعضهم بعضا ، فيفتني الغنيُّ وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثواب الأعلى في أن يعود على الأسفل بالبرّ ، وثوابُ الأسفل في أن يصبر على ترك الأعلى في منزلته ؛ ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الالهية الواحدة ، التي لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير ؛ وهي الحق ، والصلاح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى

ومادام عملُ الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب في عمله ، المعتز بقوته ، المطمئن الى صبره ، النافر من الضعف ، الأبيّ على الذل ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت في المدافعة عن حوزته ، المجزيّ بتسامحه وبذله وعطفه وإيثاره ومفاداته ، العامل في مصلحة الجماعة ، المقيّد في منافعه بواجباته نحو الناس — ما دام عمل الدين هو تكوين هذا الخلق — فيكون الدين في حقيقته هو جعل الحس بالشريعة أقوى من الحس بالمادة ؛ ولعمري ما يجد الاستقلال قوةً هي أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقرّر في نفوس الأمة وانطبعت عليه

وهذه الأمة الدينية التي يكون واجبها أن تشرُف وتسود وتعتزّ ، يكون واجب هذا الواجب فيها ألاّ تسقط ولا تخضع ولا تذل

وبتلك الأصول العظيمة التي ينشئها الدين الصحيح القوي في النفس ، يتهيأ النجاح السياسي للشعب المحافظ عليه المنتصر له ؛ إذ يكون من الخلال الطبيعية في زعمائه ورجاله ، الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة في الحق ، والايمان بمجد العمل ، وتغليب ذلك على الأحوال المادية التي تعترض ذا الرأي لتفتنه عن رأيه ومذهبه : من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو موافقة الهوى ، أو خشية النقمة ، أو خوف الوعيد ، إلى غير هامن كل ما يستميل به الباطلُ أو يُرهب به الظلم

ولا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن ، القوي الايمان ، المتلئ ثقة ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما ياق في سبيلها — لا يكون رجلاً كالناس ؛ بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزء من طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه ، هو رجلُ صدقِ المبدإ ، وصدقِ الكلمة ، وصدقِ الأمل ، وصدقِ

النزعة ـ الرجل الذى ينفجر فى التاريخ كلما احتاجت الحياة الى إطلاق قنابلها للنصر

* * *

والعادات هى الماضى الذى يعيش فى الحاضر ، وهى وحدة تاريخية فى الشعب ؛ تجمعه كما يجمعه الأصل الواحد ؛ ثم هى كالدين فى قيامها على أساس أدبى فى النفس ، وفى اشتمالها على التحريم والتحليل ؛ وتكاد عادات الشعب تكون ديناً ضيقاً خاصاً به ، يحصره فى قبيله ووطنه ، ويحقق فى أفراده الألفةَ والتشابك ، ويأخذهم جميعاً بمذهب واحد : هو إجلال الماضى

وإجلال الماضى فى كل شعب تاريخى ، هو الوسيلة الروحية التى يستوحى بها الشعبُ أبطالَه ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهلَ الفنّ منه ؛ فيوحون اليه وحْى عظائمهم التى لم يغلبها الموت ؛ وبهذا تكون صورهم العظيمة حيّةً فى تاريخه ، وحيّةً فى آماله وأعصابه

والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئاً نفسيّاً حقيقياً ؛ حتى ليشعر الانسان أن لأرضه أمومةَ الأم التى ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذى جاء به إلى الحياة . وليس يعرف هذا إلا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ؛ فهناك يُهنالك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا

وهذه الطبيعة الناشئة فى النفس من أثر العادات هى التى تنبه فى الوطنى روحَ التميز عن الأجنبى ، وتوحشُ نفسه منه كأنها حاسّة الأرض تنبه أهلها وتنذرهم الخطر

ومتى صدقت الوطنيــة فى النفس ، أقرّت كلّ شىء أجنبى فى حقيقته الأجنبية ؛ فكان هذا هو أولَ مظاهر الاستقلال ، وكان أقوى الذرائع إلى المجد الوطنى

* * *

وباللغة والدين والعادات ، ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوّماتها ؛ فلا يسهل انتزاعُه منها ولا انتسافُه من تاريخه ؛ وإذا أُلجئ إلى حال من القهر ، لم ينخذل ولم يتضعضع ، واستمر يعمل ما تعمله الشوكة الحادة : إن لم تترك لنفسها ، لم تعط من نفسها إلا الوَخْز ... ...

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

٢ ـ النهضات القومية العامة

فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

وإذا كانت حركة الرابطة الوطنية بقيت قوية عنيفة فى أور طوال القرن التاسع عشر كما قدمنا ، فان هذه الحركة قد اقتر بها حركة رابطة الجنس ، ولم تتعارض الحركتان . فان الو الفرنسى والوطن الايطالى والوطن الاسبانى ، وغير هــذه الأوطان اللاتينية ترعرعت واشتدت ولم تتعارض مع الجا اللاتينية ؛ على أن اتفاق رابطــة الوطن مع رابطة الجنس يف رائعاً أخاذاً إذا انتقلنا إلى الشعوب الجرمانية ؛ فكل شعب وطنه ؛ وكثيراً ما حاربت بروســيا فى الماضى دولاً أخ جرمانية ؛ وكثيراً ما حاربت النمسا وانتصرت عليها ، ومع ذلك فان الشعوب الجرمانية لا ينسيها الاغراق فى وطنيتها أ تنتسب جميعاً إلى جنس واحــد ، وأن دماً واحداً يجرى عروق الجميع

على أن ائتلاف رابطة الوطن مع رابطة الجنس يختلف ق وضعفاً . فالرابطتان أضعف ما تــكونان ائتلافاً إذا كانت راب الوطن قوية متماسكة ، تستطيع القيام على رجليها دون حاجة معين ؛ والمثل لذلك الوطن الفرنسى والوطن الايطالى ، والرابطة أقوى ما تــكونان ائتلافاً إذا ضــعف وطن ، فيستمسك بو آخر قوى من جنسه ، كما هو الحال بين النمسا وألمانيا ، وكذل إذا كان كل وطن ضعيفاً بذاته قوياً باجتماعه مع الأوطان الأخر من جنسه ، كما هو الحال بين الأقطار العربية ؛ وأخيراً إذا اندمج جنسيات متعددة فى أمبراطورية واحــدة ، ثم أخذت ه الأمبراطورية المصطنعة فى الانحلال ، فان حركة الجنسيات تقو فى هذه الحالة ، وتتمخض عن حركات استقلالية ، كما وقع ه الأمر للأمبراطورية النمسوية وللأمبراطورية العثمانية

* بقية المحاضرة الأولى من سلســلة المحاضرات التى ألقاها الأست السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ٣٦